ISSN 2170-0796

هل لإسرائيل جيش حقيقي؟!

المرحوم د.عبد الوهاب المسيري

تفاقمت أزمة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية عقب حرب لبنان الأخيرة، وقد امتد الجدل حول شرعية الدور الذي يقوم به الجيش في المجتمع ومدى سلامة المقولات وشرعية الآمال والأساطير المتعلقة به والتي تحطمت في الحرب الأخيرة، أولى الحروب في مرحلة ما بعد الصهيونية. ويذهب الكاتب رؤوبين بدهتسور (**هآرتس** 26 أغسطس 2007) إلى أن "الجيش الإسرائيلي يزداد دلالا رغم إخفاقه في الحرب الأخيرة"، فبدلا من تقديم فاتورة الحساب يُعطونه المزيد من الميزانيات والألعاب الحربية". "لقد اختار قادة الجيش الحل الأسهل بعد الفشل في الحرب، وهو المزيد من التسلح وتوسيع صفوف الجيش". (ويقصد به الخطة الخماسية التي تبناها رئيس الأركان عقب الحرب). ويستنكر الكاتب التفكير التقليدي للقيادة العسكرية الإسرائيلية الذي انحصر في زيادة كميات الأسلحة فيقول: "ليس العتاد هو ما يحتاجه الجيش الاسرائيلي أو زيادة الميزانية... إن مطلب شراء دبابات ميركافا اضافية يُجسّد الجمود الفكري الذي أصيب به قادة الجيش... فاحتمالية تحقق سيناريوهات القتال التي تُستخدم فيها آلاف الدبابات شبه معدومة، وفي تلك الحالات التي ستكون فيها حاجة لاستخدام المدرعات يمتلك الجيش كميات كافية من الدبابات". ويصل الكاتب إلى أن "عهد الحروب المباشرة في منطقتنا قد ولّي. حرب المستقبل سترتكز علي استخدام الجو والصواريخ البالستية والصواريخ قصيرة المدي وأطر القتال البرية الصغيرة. هذه هي العبرة من حرب لبنان الثانية". وأعتقد أن وتشخيص الكاتب للقضية في تصوري ليس دقيقاً، فالإشكالية الكبرى التي تواجهها إسرائيل هي كيفية القضاء على المقاومة، فهل "استخدام الجو والصواريخ البالستية والصواريخ قصيرة المدى...إلخ" يقضي على المقاومة؟ ويذهب أمير أورن مراسل صحيفة **هآرتس** للشؤون الجيش (5 سبتمبر 2007)، إلى أن الخطة الخمسية التي وضعها رئيس هيئة الأركان لن تنجح في إنهاض الجيش الإسرائيلي من وضعه المتردي، فالجهاز العسكري يحتاج الي خطة كإطار للتفكير والعمل. وينتقد الكاتب أيضا الاهتمام المفرط بالتطويرالكمي الذي يتجه له واضعو الخطة على حساب التطوير الكيفي، فيقول: "في خطة إشكنازي [قائد الجيش] عدد كبير من الدبابات والطائرات والتهديدات والتحديات والانعطافات، وهي خطة تفتقد تماما الي البُعد القيمي الذي ينفخ الروح في الجسم". ثم يعطي الكاتب وصفاً لجيش الدفاع الإسرائيلي، الجيش الذي كان يدّعي أنه لا يُهزم! "إنه جيش لم يتمكن من اعادة بناء جهاز المناعة لديه، جيش مليئ بالدسائس والنمائم وضرب الخناجر". ويثير الكاتب شكوكاً بمقدرات إشكنازي على أن يعيد للجيش ليقاته القتالية فيصفه بأنه مجرد "مدير عمل لا يمكنه التسامي إلى مستوى القائد. فهو يقوم بإلزام الواحدات الميدانية بالعمل المرهق، فيعطي الجنود عملاً [منهكاً] حتى يسقطوا على الأرض تعباً ولا يشغلون القيادة بأمور أخرى". ويرى عوفر شيلح، وهو كاتب رئيسي في صحيفة **معاريف** 4)سبتمبر (2007، أن ثمة حالة من فقدان الأمل تسيطر على الوجدان الإسرائيلي، فيذهب إلى أن القيادة السياسية والعسكرية في اسرائيل تزرع اليأس في الشعب"، وأن "كلمة "الأمل "في السنين السبع الاخيرة أصبحت كلمة نابية تقريبا لا يرغب فيها أحد...لم يعد هناك "غد "في السنين الاخيرة .فالدولة الأقوي في الشرق الاوسط وخارجه، وقادة الجيش الذي يملك قوة تقارب القوي العظمي، وربابين الدولة التي يقترب مستوي الحياة فيها من مستوي أوروبا، كل أولئك لا يشعرون حتي بالحاجة إلى رؤيا بعيدة ليوم آخر. لقد حل إحساس قوي بالتضحية والمسكنة [أي أن الجنود الإسرائيليين يشعرون أنهم يضحون بأنفسهم، ولكنهم بدلا من أن يروا ذلك واجبهم، فإنهم يمنون على الجمهور به] حلت هذه الرؤية محل رؤية ديان المتشائمة للعالم. كانت الحرب عنده في تأبينه لروي روتبيرج "قدَر جيلنا" ومن هنا ظهرت عبارة إين بريرا لا خيار، ولكن حينما كان يقولها ديان فإنه كان يطرح رؤية ترى أن الاستمرار في الجاهزية العسكرية وفي البطش بالفلسطسنيين ستقنعهم في نهاية الأمر بتقبل إسرائيل.

ISSN 2170-0796

ولكن الوضع أصبح مختلفاً تماماً، حسب تصور الصحيفة، فالحياة في الدولة الصهيونية "ستظل تجري على نفس المنوال صادرة عن اليأس والغضب. لكن لا يعجبن أحد اذا سأل أناس شبان انفسهم لماذا يُجندون او يتطوعون من اجل أفق أسود" [وطريق مسدود]؟

وتعلق أسرة تحرير **هآرتس** (18 سبتمبر 2007) على النتائج غير العملية التي خرجت بها لجنة تحقيق فينوغراد، فتقول إن "الردع لا يرمم في لحظة". "فالردع هو كلمة جميلة ومشجعة ولكن من الصعب قياسها، وأن من الأسهل قياس وتشخيص الغرور والرضي المبالغ فيه الذي أصيبت به القيادة السياسية. وأن قدرة الردع الاسرائيلية تقاس كل يوم أيضا في غربي النقب، حيث تسقط مئات صواريخ القسام في الشهر ولا تنجح اسرائيل في ايجاد رد رادع لها. من الصعب أن ننسي أيضا هشاشة الجبهة الداخلية الاسرائيلية عندما تبينت هذه [الجبهة] قبل سنة فقط القدرة الكامنة لدي الانتحاريين ممن لا يردعهم شيء".

من زاوية مختلفة يمكننا تلمس رؤى اليمين الإسرائيلي وردود أفعالهم تجاه أزمة المؤسسة العسكرية، حيث يرى يسرائيل هرئيل ، وهو واحدا من أكبر المنظرين للاستيطان في الكيان الصهيوني، أن الاحتواء أخصى الجيش الإسرائيلي (**هآرتس** 3 يناير 2008)، فيقول: "من يريد أن يعرف سبب فشل الجيش الاسرائيلي في الحرب سيجد في تقرير فينوغراد، بالإضافة إلى استخلاصاته الهامة والمؤلمة حول إخفاقات الجيش، رداً مركزيا: سياسة الاحتواء في الشمال أوصلت الجيش إلى الشلل والوهم... الاحتواء الذي يعتبر تسمية ملطفة لسياسة ضبط النفس والامتصاص. وسبب الفشل في لبنان حاول أولمرت الانتقال من الاحتواء إلى الحسم، ولكنه عاد سريعاً بعد فشل لبنان الي ضبط النفس في مواجهة صواريخ القسام في النقب. هنالك افتراض بأنه لم يكن ليستخدم هذه السياسة لولا اكتشافه ان الجمهور يعارضها. رئيس الوزراء يعرف نفسية جمهوره، وهو الجمهور الوحيد في العالم ربما الذين يعتبرون ضبط النفس وتحمل الآلام والضحايا سواء في ذريات شمونة أو سديروت سياسة صحيحة يتوجب الاستمرار فيها". عمّ يتحدث هذا الصحفي؟ هل يعني أن إسرائيل تمارس "ضبط النفس وتتحمل الآلام من أجل الضحايا" ولا تمارس البطش بما يكفي ضد الفلسطينيين؟ ألا يسمع هذا الرجل شيئاً عن المحرقة وعن تجويع الفلسطينيين شهوراً وشهوراً، وعن الطوابير الطويلة أمام الحواجز التي يقيمها الصهاينة والتي يموت أمامها المرضى والعجائز والحوامل؟ عمّ يتحدث هذا الرجل؟!

وقد دفعت الأزمة الراهنة العديد من الكتابات للرجوع إلى التاريخ لمحاولة تفسيرها وسبر أغوارها. فكتب أماتسيا حين العقيد في قوات الاحتياط، مقالا بعنوان "الجيش الإسرائيلي بدأ بالانزلاق في منحدر أملس منذ حرب الأيام الستة" (**يديعوت احرونوت** 17 سبتمبر 2007)، يقول فيه: "اذا كنتم تريدون فهم سبب ضعف الجيش الاسرائيلي في حرب لبنان الثانية فعليكم أن تعودوا بنظركم إلى أربعة عقود الي الوراء، وصولا الي حرب الأيام الستة. لقد بدأ الجيش الاسرائيلي منذ ذلك التاريخ بالانزلاق في منحدر أملس". "فالانتصار في حرب حزيران (يونيو) شوش عقل الأمة بأكملها، وأثر في نشاط الجيش المتواصل حتي يومنا هذا. لهذا لم يكن عبثا ان أحداثا خطيرة قد جرت بعد الحرب، مثل فشل القوات المسلحة في معركة الكرامة، قد اعتبرت مجرد أمر عابر". ثم تختم المقالة بجملة في غاية الدلالة: "أنا أوصي المواطنين بأن يعترفوا بحقيقية أنه لم يكن لإسرائيل أبداً جيش حقيقي".

هذه هي الصورة العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي، وما أصابه من تآكل بسبب استمرار المقاومة العربية سواء في فلسطين أم لبنان. وقد أخبرني اللواء حسن البدري، مؤرخ الجيش المصري -رحمه الله- أن الجيش النظامي الذي يستخدم في قمع عصيان مدني لمدة أكثر من ستة أشهر، يفقد مقدرته القتالية، فما بالكم بجيش انغمس في هذه العملية غير العسكرية ما يزيد عن عشرة سنين؟!

هذا الكلام موجّه للنخب العربية التي تتصوّر أن المقاومة جهد لا طائل من ورائه، وأنه لا حل إلا من خلال المفاوضات مع الدولة الصهيونية ومن خلال الضغوط الأمريكية التي يمكن أن تمارسها على الدولة الصهيونية.

ISSN 2170-0796

"فورين أفيرز" تصف أردوجان بـ"سلطان المسلمين"

وصفت دورية فورين أفيرز الأمريكية، رئيس الوزراء التركى رجب طيب أردوجان، بأنه "سلطان العالم الإسلامى"، وقالت المجلة فى تقرير عن تركيا بعددها الأخير كتبه سونر كاجابتاى، الباحث بمركز واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، إن سقوط دولة الخلافة العثمانية، ظل عاملا لتركيا، بين الجانب الإسلامى من هويتها وبين الجانب الآخر العلمانى القومى الذى يقود سياستها الخارجية، غير أن حزب العدالة والتنمية الحاكم قد أخل بهذا التوازن وجعل تركيا تبحث عن دور جديد فى الشئون العالمية.

ويشير التقرير إلى أن ميراث كمال أتاتورك مؤسس الدولة العلمانية، بدا يخبو مع وصوله حزب العدالة والتنمية ذو الجذور الإسلامية إلى الحكم عام 2002، فقد عمل هذا الحزب على تعزيز الهوية الإسلامية لتركيا، وظن البعض أن أيدلوجية حزب العدالة والتنمية ربما لم تؤثر على اقتراب تركيا من الغرب، ونظر البعض إلى تركيا على أنها نموذج للديمقراطية الإسلامية.

إلا أن المجلة ترى أن معظم الجهود التى تبذلها تركيا وتحديدا الحزب الحاكم من أجل الدفاع عن القضايا الإسلامية العالمية قد واجهت حالة من الإحباط مثل توسطها بين إيران والغرب بشأن برنامج طهران النووى، ورغم ذلك إلا أن حزب العدالة والتنمية وزعيمه رجب طيب أردوغان سيظل يمضى فى الطريق الذى رسمه ما لم يتوقف الأتراك عن الإيمان بنظرية صدام الحضارات، وما لم تظهر أفكار كمال أتاتورك مرة أخرى للتأييد على الطابع القومى العلمانى.. والفرصة الوحيدة لتحقيق ذلك هى الانتخابات التشريعية التى ستشهدها البلاد فى يونيو 2011، والتى ستمثل المعركة الأكثر أهمية لتركيا على مدار قرنين.

الخرطوم تؤكد الالتزام بموعد الاستفتاء

أكدت الحكومة السودانية مجددا التزامها بإجراء الاستفتاء على مصير جنوب السودان في موعده المحدد. وقال وزير الخارجية علي كرتي -خلال اجتماع وزاري لمجلس الأمن الدولي في نيويورك- إن إجراء الاستفتاء يجب أن يكون خطوة لتعزيز السلام والاستقرار في السودان. ومن جانب آخر اتهم مساعد الرئيس السوداني ونائب رئيس حزب المؤتمر الوطني الحاكم نافع علي نافع لجانا من مفوضية الاستفتاء بعرقلة عملية تسجيل الناخبين في الخرطوم.وكان بعض الجنوبيين قد اشتكوا من رفض مفوضية الاستفتاء تسجيلهم. ولم يذكر نافع تلك الجهات التي قال إنها تقوم بتضليل وتخويف الجنوبيين في الشمال لمنعهم من التسجيل بهدف إفشاله. وقال كرتي إن الغاية التي قبلت حكومة السودان من أجلها إجراء الاستفتاء هي تسوية سلمية لما تبقى من قضايا معلقة. وذكر كرتي أن المتفق عليه في تمويل مفوضية الاستفتاء أن يكون ذلك بنسبة 40% من طرفي الاتفاقية، و60% من المجتمع الدولي، مشيرا إلى أن حكومة السودان "وفت بما يليها من التزامات, و"قامت حتى اليوم بدفع مبلغ 8.5 ملايين دولار أميركي كمرحلة أولى". كما ناشد المجتمع الدولي والمانحين الوفاء بالتزاماتهم التي عليهم "حتى لا يتأثر برنامج عمل المفوضية". وتطرق الوزير السوداني إلى وضع منطقة أبيي، وقال "إننا نتحدث عن قوميتين عرقيتين متعايشتين في تلك المنطقة عبر التاريخ، ولا نتحدث عن نفط أو ثروات مآلها النفاد، إنما نتحدث عن حقوق المواطنة المشروعة وغير القابلة للتصرف لأكبر مجموعتين قاطنتين في المنطقة وحقها في تقرير مستقبل وضع المنطقة التي يقيمون فيها".

ضباط إسرائيليون: فتح ستنهار إذا لم يتحقق السلام

نقلت صحيفة هآرتس الإسرائيلية تحذيرات أطلقها مجموعة من ضباط الجيش الإسرائيلى رفيعى المستوى لصحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية من أن أى تأخير فى مفاوضات السلام لن يؤثر فقط على العلاقات الإسرائيلية الأمريكية، بل أيضاً القيادة الفلسطينية المعتدلة فى الضفة الغربية.

ونقلت الصحيفة عن ضابط الجيش الإسرائيلى والاستخبارات، تحذيرهم أنه إذا لم يتم إنجاز اتفاق سلام فى القريب العاجل، فإن حكومة فتح فى الضفة الغربية من المحتمل أن تنهار وتخلى المنطقة للمتطرفين من حماس والذى يحظون بدعم إيرانى وسورى، على حد قولهم.

وفى مقابلة أجرتها الصحيفة مع ضابط إسرائيلى رفيع المستوى بالضفة الغربية، قال "إنه أمام مديرى المفاوضات أمل ضيق قبل نهاية هذه الفترة الهادئة، لأن الهدوء لن يدوم للأبد".

وأضاف الضابط الإسرائيلى، "أنه إذا لم ينجز اتفاق السياسيين الكبار أى شىء فى قنوات المفاوضات سنجد أنفسنا واقفين أمام تصعيد على الأرض خلال الست أو تسع شهور القادمة".

وقال الضباط الإسرائيلى، "إنه على الرغم من التنسيق الكبير بين القوات الأمنية الفلسطينية والإسرائيلية والذى يسهم إلى حد كبير فى جو الهدوء، فإنه من الممكن أن ينقطع فجأة"، مضيفاً "أنا غير متأكد من أن قوات الأمن الفلسطينية تستطيع الاستمرار بالتنسيق الجيد إذا فشلت المفاوضات"، مضيفاً "أنه وبسبب هذه التخوفات يعد الجيش الإسرائيلى نفسه لانتفاضه ثالثة".

ومن جهتها، قالت الصحيفة مستشهدة بأقوال ضابط إسرائيلى آخر يعمل فى الاستخبارات العسكرية والذى أيد بدوره أن البنية التحتية الأمنية للسلطة الفلسطينية من الممكن أن تنهار خلال خمسة دقائق.

حزب الله قد يرد بعنف في ملف المحكمة

اعتبر رئيس التيار الوطني الحر الجنرال ميشال عون المتحالف مع حزب الله ان الحزب الشيعي اللبناني قد يرد بعنف على توجيه المحكمة الدولية من اجل لبنان المكلفة النظر في اغتيال رفيق الحريري اتهاما الى عناصر فيه.وحذر عون في لقاء مع جمعية الصحافة الدبلوماسية في باريس "سيكون رد الفعل اكثر عنفا لانه بريء. ينبغي عدم اللعب بالنار. ان مع يعتبر نفسه بريئا قد يشعل ازمة تتخذ طابعا عسكريا".واتهم حزب الله اللبناني المحكمة الدولية من اجل لبنان التي كلفتها الامم المتحدة بالتحقيق في اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري عام 2005 بانها "مسيسة" و"تخدم مصلحة" اسرائيل وبانها تستند الى "شهود الزور".وقال عون "لا احد يرفض المحكمة" مؤكدا انه كان "اول من طالب بها". وتابع "لكننا ضد الاستنساب في العدالة" منددا بتركيز التحقيق منذ اربع سنوات على سيناريو ضلوع سوريا وحده.وتابع متسائلا لماذا بقيت اسرائيل "خارج" التحقيق فيما انها الوحيدة التي تملك وحدة (الموساد) "متخصصة في الاغتيالات السياسية؟"واكد عون "لا يمكن القول انها سوريا" متحدثا عن "التلاعب" بالتحقيق من خلال شهود الزور، ولم يستبعد وجود "ضابط واحد" منفرد مسؤول عن الاغتيال.ولم تحدد المحكمة الدولية موعدا لنشر القرار الظني فيما يسود لبنان وضع سياسي شديد التوتر بانتظاره.

ISSN 2170-0796